

ظلت أمي جالسة على سجادة الصلاة بعد أن أدت صلاة العشاء ما يقارب ثلاث ساعات والقلق يباد عليها ولا تستطيع إخفاءه، حتى سمعت طرق الباب وهو يُغلق، ودخل إبراهيم فهبت إليه صارخة: أين كنت؟ لماذا تأخرت؟ فأجاب إبراهيم: الحكومة تريد تقريراً خطياً أم شفويًا؟ صرخت مرة أخرى حيث لم يتمكن إبراهيم من تهدئة روعها أسألك أين كنت؟ ولماذا تأخرت؟ أدرك أن الوضع صعب فأجاب: أحد أصدقائي له مشكلة وذهبنا لملها واحتجزنا وقتاً حتى أقنعنا والده فرضي، قالت: ألا يصح تأخير ذلك للنهار؟ لا تتأخر هكذا مرة أخرى، هل تفهم؟ فأجابها مماًزحاً: السمع والطاعة يا جلالة السلطان، خرجت لتجهز له الطعام فنأدى عليها أن تترك ذلك وأقسم عليها ألا تفعل فهو سيجهزه بنفسه.

كنت أراقب ذلك وبداخلي بركان يكاد ينفجر فلا بد أن أصارحه بأنني قرأت الورقة وأوضح له الأمر، لا يصح أن أسكت على ذلك، قد يزعل ويخرج، لا ضير ولكن لا بد أن أخبره.

ذهبت أمي لغرفتها لتنام وخرج هو ليجهز لنفسه العشاء ثم عاد ليتناوله بجوارري، فقد كنا ننام سوياً في نفس الغرفة، جلس يتناول طعامه، فسحبت الكرسي وجلست إلى جواره وقد حرصت على الاقتراب منه وقربت فمي من أذنه وقلت له أرجو أن تعذرني فقد وقعت حافظة أوراقك مني، وحين جمعت الأوراق التي تناثرت منها رأيت التقرير المكتوب عن حسن، توقفت عن الطعام وقد كادت اللقمة التي في حلقة أن تغصه وتقتله وقال: ماذا؟ قلت: لا تقلق فأنا أحمد وأنت تعرفني، وسرك في بئر هذا ما حدث ثم لم أستطع أن أقاوم الفضول فقرأت الورقة.

بدت الحيرة عليه ولم يعد قادراً على التصرف، كان ذلك أصعب موقف أرى فيه إبراهيم، استطردت قائلاً: اعتبر أن أحداً لم يقرأ ذلك ولم يره، ولم يرد ولم ينطق أي حرف... وأنهى طعامه سريعاً ثم ذهبنا للنوم.

في اليوم التالي رأيت أنه يفضل أن ينتظرنني ليرافقني إلى الجامعة، خرجنا للجامعة سوياً، في الطريق قال لي مفتحاً الحديث، اسمع يا أحمد أنا واثق أنك لن تذكر ذلك لأحد ولكن اعلم أن موضوع حسن يقلقني، وأنا شغلت عدداً من زملائي ليراقبوه حتى أعرف ما يفعل أدركت أنه يحاول ذر الرماد في العيون ليخفي عني حقيقة من جهز التقرير، نظرت إليه نظرة عميقة وقلت: يا إبراهيم العب هذا على غيري، فالتقرير ليس شغل أي أولاد أو أصحاب، هذا شغل ناس تعرف ما تفعل والمعلومات التي فيه معلومات لا يحصل عليها أي ناس، هذه معلومات ناس مختصة، ولكن ليس هذا ما يهمني... ما يهمني هو ماذا ستفعل مع حسن؟! تنهد بعمق وقال: أقسم بالله العظيم أنني سأقتله وأريح الناس من شره، وأنا أول من يقتله، ولكن كل شيء في وقته جميل.